مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الخامس والعشرون - المجلد السابع - اللغة العربية - حزيران 2025 م
doi.org/10.52866/esj.2025.07.25.13

أثر السياق في تحديد دلالة المفردة : دراسة في ضوء نظرية اللفظ والمعنى

د. عباس محمد إسماعيل موسى
أستاذ اللغويات المشارك / جامعة الجزيرة / كلّيَّة التربية - حنتوب
bbassmohammed1111@gmail.com

مستخلص:

تعد دراسة اللغة من خلال السياق من الدراسات اللغوية التي حظيت بالاهتمام الكبير من قبل علماء اللغة؛ ذلك لأن اللغة تكمن في مبنى ومعنى. ولهذا هدفت الدراسة إلى البحث عن أثر السياق في تحديد دلالة المفردة، كما تهدف إلى الإطلاع على التداول والحوار الذي دار بين اللغويين في قضية اللفظ والمعنى، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: من خلال الدراسة اتضح أن للفظ دلالتين : دلالة معجمية أصلية حقيقية، وأخرى مجازية إستعارية كامنة من خلال التشبيه، كما اتضح من خلال الدراسة أن للتوخي دوراً كبيرا في توظيف دلالة المفردة؛ لأن للألفاظ المتجاورة دوراً في تحديد المعنى المناسب للفظ المتعدد المعنى، إن ما انتهجه عبد القاهر الجرجاني من حيث إثبات الدلالة الحقيقية للمفردة، أقرب إلى الواقع اللغوي، من الذين يقرون بتعدد المعنى للفظ حتى لو كان ذلك خارج السياق .

The Influence of Context on Determining the Meaning of a Word: A Study in the Light of "Word and Meaning Theory"

Abbass mohammed Ismaeel,
Associate Professor (Faculty of Education - Hantoub, University of Gezira)

Abstract :

Studying language through context is among the linguistic studies which have received significant attention from linguists because language consists of forms and meaning. This study, therefore, aimed at investigating the influence of context on determining the meaning of individual words, and exploring the discourse and dialogue that has taken place between linguists on the issue of 'words and meaning'. The study followed the descriptive, inductive method. The most important findings are as follows: It has become clear that a word has two meanings: a basic, lexical meaning and a figurative connotation acquired through using simile. Careful consideration plays a significant role in utilizing a word's meaning, and the adjacent words in the context have a role in specifying the appropriate meaning of a polysemous word. Abd-el Gadir El-Jarjani's method for specifying the exact meaning of the individual word is more in line with linguistic reality than the views of scholars who maintain that a word has multiple meanings even when occurring out of context.

مقدمة

اهتم علماء اللغة العربية منذ القرن الأول الهجري بموضوع اللغة من حيث المبنى والمعنى والتركيب السياقي ، ولهذا فقد نالت قضية اللفظ والمعنى الحظ الأكبر من حيث الاهتمام ؛ ذلك لأنّ اللفظ والمعني يعدان الأساس الذين تقوم عليه أي لغة.

إن بداية لفت أنظارالعرب إلى قضية اللفظ كانت في القرن الأول الهجري، إلا أنّها حينذاك لم تكن جليّة مثلما تناولها علماء القرن الثاني الهجري، حيث الإشارة والتوضيح والتفصيل من قبل الإمام الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر الكناني، المعروف بالجاحظ . ففي تلك الفترة بدأ تداول ما يسمى باللفظ والمعنى، وأيهما أولى بالاهتمام – من قبل علماء اللغة– من الآخر، حينها حظيت النظرية بالمناقشة واشتهرت وكثر النقد فيها من حيث طائفة تفضل اللفظ على المعنى، وأخري ترى فضل وأولوية المعنى على اللفظ ، وكل ذهب برأيه مستنداً إلى أدلة تتضمن الشرح والتوضيح لما تبنّاه من رأي.

أهمية الدراسة: تتلخص الأهمية في

أ. إبراز مكانة اللفظ والتركيب البنيوي له ودلالته اللغوية في السياق .

ب. إن النسيج للغوي لا يتكامل إلا بعد توافق اللفظ والمعنى من خلال السياق .

ت. معرفة أثر الخلاف اللفظي عند أهل اللغة ودوره في إثرائها، واتساع دائرة الاستنباط فيها.

ث. دراسة اللفظ والمعنى عند علماء اللغة تكمن في بيان أنّ اللغة لفظ من حيث التركيب والمبنى ، ومعنى سليم ينتج عن ذلك، حيث يُفهم ويقضي الغرض .

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى

أ. معرفة العامل الوظيفي في تحديد دلالة المفردة .

ب. البحث عن دور الألفاظ المتجاورة للفظ المراد معرفة معناه سواء أكان المعنى الحقيقي أو المجازي.

ج. بيان الدور الذي يقوم به السياق في توظيف المعنى للمفردة .

ح.معرفة دور نظرية النظم في توصيف دلالة المفردة من خلال السياق .

منهج الدراسة :

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي .

الدراسات السابقة :

1 . التحليل الأسلوبي في ظل نظرية السياق ، د. الطيب الجبايلي / جامعة العربي التبسي ، التبسة – الجزائر ، اتفقت الدراستان في البحث عن المعنى من خلال السياق، واختلفتا في أن درسته تختص بالبحث عن الأسلوب اللغوي من خلال السياق، أما دراستنا فتختص بالبحث عن دور السياق في تحديد دلالة المفردة؛ لأن المغزى في البحث عن المعنى من خلال السياق ، هو بيان قيمة الدورالسياقي في توظيف دلالة المفردة .

2 . ملامح نظرية السياق في الدراس اللغوي الحديث، د. محمد إسماعيل بصل ، فاطمة بلة مجلة الد اسات اللغوية، اتفقت الدراستان في دراسة السياق بغرض معرفة دوره في اللغة، كذلك التوافق في منهج التحليل، واختلفتا في أن الدراسة السابقة تختص بالسياق في ضوء المنظور اللغوي الحديث، أما دراستنا فاختصت بدراسة السياق عند علماء اللغة العربية في القرون الأولي ، ذلك بغرض بيان منهجهم في التأصيل اللغوي للمفردة من خلال

السياق.

اللفظ والمعنى عند الجاحظ والجرجاني:

إنّ دراسة اللفظ وما يحتويه من معنى أمر حتمي ؛ ذلك لأنّهما عنصران أساسيان في التركيب والسياق ، إذ إنّ للتركيب دلالة لغوية كما للسياق دلالة لغوية .

لعل أكثر عَلَمَيْن من أعلام اللغة تناولا قضية اللفظ والمعنى هما الجاحظ في القرن الثاني الهجري وعبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، ولهذا فإنه قبل الشروع في موضوع أثر السياق في تحديد دلالة المفردة ، لابد أن نقف عند هذين العالمين اللذَيْن تداولا قضية اللفظ ومضمونه وإظهار بعض أرائهم في اللفظ والمعنى، لنأخذ بناتج ذلك إلى دراسة أثر السياق في تحديد وتوظيف الدلالة للمفردة ، مستنبطين ذلك من خلال الظواهر اللغوية والبلاغية الكامنة في التركيب والسياق .

1. الإمام الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني ، هو علم لغوي وبلاغي وأديب ، انتهج مذهب المعتزلة في الفكر والفلسفة والنقد ، وهو القائل : «لا يكون المتكلم عالماً بأقطار الكلام متمكناً في الصناعة يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يتكلم في أمور الدين على وزن الذي يتكلم في أمور الفلسفة ، والعلم عندنا هو الذي يجمعهما ، أي الفلسفة والدين»[1].

إنّ الجاحظ يعد رائد النظرية اللفظية ، وفي ذلك يرى أنّ اللفظ هو الأساس؛ وذلك في قوله «إنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء في صحة الطبع وجودة السبك»[2].

يمكننا الوقوف عند رأي الجاحظ في مسألة اللفظ والمعني ، لنستنبط بعض الحقائق التي جعلت الجاحظ يقدّم اللفظ على المعني وهي:

أ. إنّ الجاحظ يعد أحد علماء اللغة الأوائل الذين يبحثون عن اللغة بغرض التأصيل ، وتأصيل اللغة مبنيٌّ على تقعيد ألفاظها .

ب. وإنّ تركيز الجاحظ على اللفظ مبني على أنّ اللغة أوزان وتفعيلات، مع سلامة المخارج .

والذي ينظر إلى رأي الجاحظ في اللفظ يتضح له أنّ الجاحظ قد إنتهج جانب التأصيل في تقعيد اللغة من حيث الوزن والتصريف والمخارج التي تنبي عليها الألفاظ .

والذي يؤكد ما ذهبنا إليه من اهتمام الجاحظ باللفظ، قوله في عبارته «إنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي»[3].

أحسب أنّ اعتماد الجاحظ على الألفاظ وإعطائها الأولوية دون المعاني تكشف لنا سعيه إلى التأصيل اللفظي اللغوي للألفاظ الناتجة عن تعدد الأوزان والتصاريف، ولهذا يُحْتم الأمر عنده في الاهتمام باللفظ ومن ثم المعني .

وقد أشار إلى ذلك جليًّا في تحديده عناصر أنظمة السياق ، حيث بيَّن «إنّ أنظمة اللغة خمسة وهي: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمي به نصبة»[4].

فالملاحظ على ما ذكره الجاحظ، إنّه يريد أن يعتمد عالم اللغة ومتلقيها على تلك العناصر اللغوية الخمسة ملتزما الترتيب مصدّراً باللفظ في تلك الأدوات، دون الذهاب المباشر إلى المعنى، وذلك على حد قوله: إنما الشأن في الألفاظ التي

(1) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص167

(2) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني ، الحيوان، ت: عبد السلام هارون ، ج3، ط4، بيروت – لبنان ، ص131

(3) الجاحظ ، المصدرنفسه ص131

(4) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ت: حسن السندوبي ، ج1، ط1، 1926، ص82

يجب أن تكون متخيرة وسهلة المخرج .

وقد وافق إحسان عباس ما ذهب إليه الجاحظ ومؤيداً له في قوله «يرى الجاحظ ضرورة اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب، فلكل مقام مقال، كما قال : إنّ وضع الأسماء بحسب المعنى الذي تؤديه»[1].

خلاصة الأمر: إنّ ما ذهب إليه الجاحظ في تقديم اللفظ على المعنى يأخذ جانب التأصيل اللغوي، إذ إنه انتهج نهج العرب الأوّلين في التأصيل اللغوي بحجة أنّ اللغة تكمن في صحة سلامة مخارج ألفاظها، وموافقة بنية اللفظ الأوزان العربية المعتمدة في الميزان الصرفي العربي. أما المعاني فمكانتها مبنية على سلامة ألفاظها .

2. عبد القاهر الجرجاني

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، من أعلام القرن الخامس الهجري ، وأحد أعلام البلاغة واللغة والنحو والصرف وأسرار اللغة العربية، فكل ذلك ساقه في مجال البحث عن المعنى من خلال السياق .

فهو يرى أن البلاغة وفن الأدب في النظم الشعري والنثري، والنحو والصرف كلها أدوات للمعنى اللغوي الكامن من خلال السياق وكتابيه دلائل الإعجاز في علم المعاني ، وأسرار ابلاغة في علم البيان .

إن الجرجاني انتهج منظوراً لغويًّا – في اللفظ والمعنى– خالف فيه الجاحظ من حيث دراسة اللغة وأهميتها وأيهما أولى في المرتبة اللفظ أم المعنى؟.

وفي ضوء ذلك ، يرى الجرجاني أن المعاني تتفاضل على الألفاظ حيث يرى أن اللغة معاني وقيمة تلك المعاني لا تنحصر في الألفاظ ؛ إنما في اختيار اللفظ المناسب للمعنى في السياق ، وقد أشار إلى أنّ اللفظ أنْ لم يكن في مكانه الصحيح لا يفسد في المعنى أ إنما يقلل من قيمة النص من حيث دلالته السياقية ، وفي نفس الجانب يبيّن الجرجاني موقف اللفظ في السياق مبيناً مكانة المعنى في قوله « ولو أنّ عالم اللغة قد جعل ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد في المعنى» [2] وقوله هذا يبين أن السياق هو الذي يكسب الألفاظ دلالاتها.

وقد وضّح نهجه وحدّد موقفه في مسألة اللفظ والمعنى في قوله : «فقد اتضح – إذاً– اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة ، إنما الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظ التي تليها، أو ما يشابه ذلك مما تعلق له بتصريح اللفظ»[3] .

نرى من خلال بيان الجرجاني موقف اللفظ في اللغة «إنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة ، لم توضعْ لتُعرَف معانيها في أنفسها، ولكن لأنْ يضم بعضها إلى بعض فيُعرَف فيما بينها فوائد» [4].

فقول الجرجاني في اللفظ يشير إلى أن اللفظ عبارة عن علامات يشار بها إلى أشياء معينة ، فهي لا تحتوي على دلالة حقيقية ثابتة لها ؛إنما تحتمل معاني مجردة ، وهذا يشير إلى احتمالية أنها تحتوي على مئات المعاني .

لنتأمل رأي الجرجاني حول اللفظ وتحديد موقفه من (اللفظ) ففيه يتضح أنّ الجرجاني ينظر إلى اللفظ بوصفه أداة لا تحتوي على دلالة حقيقية حتمية ، وفي ذلك يرى «أن اللفظ لا يوحي بالدلالة الحقيقية إلا إذا وضع في سياق الكلام ، فالسياق هو

(1) إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص98

(2) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 411

(3) الجرجاني ، المصدر نفسة، ص38

(4) الجرجاني ، المصدر نفسه ،ص416

الذي يحدد الدلالة الحقيقية والمناسبة للفظ .

وفي ضوء ذلك ذكر عبد العزيز حمودة رأيه عن الألفاظ مستنبطاً ذلك في قول الجرجاني «الألفاظ لا تفيد حتى تُؤلف ضرباً خاصًّا في التأليف»[1]، وفي ذلك قال حمودة «ولا تكشف عن جمالها أو قبحها أو رقتها إلا بعد أن توضع في سياق العمل الفني الذي يُفْدى عليها الصفات التي تكسبها جماليتها ، فقد يعتقد أنّ ألفاظاً معينة، قد تكوّن شاعرية، ولكنها تؤدي بالعمل الفني إلى الإخفاق إذا لم تستعملْ بالشكل الصحيح»[2] .

ولهذا فأنّ معظم الدراسات اللغوية والنقدية والمتأخرة من القديمة والحديثة والعربية وغيرها من اللغات علماؤها يصطلحون على أن اللفظ يستمد دلالة معناه من خلال السياق ، وهذا على ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني وأيدته الدراسات اللغوية الحديثة ن في أن توظيف المعنى الحقيقي للفظ يكون عن طريق النظم السياقي.

يقول ابن الدين «وللسياق أثر بالغ في تعيين المراد من اللفظ ، وقد يرد اللفظ الواحد في أكثر من موضع ، وله في كل موضع معنى يختلف عن معناه في الموضع الآخر ، والذي يتعين على معرفة معانيه المختلفة في تلك المواضع هو السياق»[3] .

إن للفظ دلالة حقيقية وهي الدلالة الوظيفية التي يكتسبها اللفظ داخل السياق، بصرف النظر من كون هذه الدلالة معجمية أو وظيفية ، فحقيقتها الدلالية تأتي من خلال السياق ، ولهذا فإن التقصي عن المعنى المراد يترتب على وضع الألفاظ في سياقها المناسب؛ لأنّ بعض الألفاظ تكتسب دلالتها من الألفاظ المجاورة لها في النظم ، فالتوظيف الدلالي يأتي من خلال الألفاظ المصاحبة للفظ المراد معرفة معناه.

وقد أشار أحمد مختار عمر إلى ذلك في قوله «إنّ تغيّر المعنى يمس الألفاظ بصورة أساسية، وأننا حينما نعالج موضوع تغيّر المعنى لا نعالجه منعزلاً، إنما في ضوء الألفاظ التي ترتبط بالمعاني المتغيّرة وتعبر عنها»[4] .

إذا دققنا النظر حول اللفظ والمعنى عند الجرجاني، يتضح لنا أنّ الجرجاني نهج طريقة لتوظيف اللفظ وتحديد دلالته من خلال السياق، واتضح ذلك جليًّا حينما بيّن أنّ الكلام على ضربين في قوله « إن الكلام على ضربين ، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ الواحد، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده؛ ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه وموضوعه في اللغة ، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض»[5].

نلاحظ أنّ كلام الجرجاني هذا يشير إلى أنّ اللفظ له دلالتان

الأولى : أصليّة وهي الدلالة المعجمية الأساسية للفظ ، فهي دلالة اللفظ مفرداً خارج الشياق مثلا: (الأسد ، العندليب ، البحر) فالدلالة فيها معجمية، حيث إنّ الأسد يكتسب اسمه الصريح وهو الحيوان المفترس، و العندليب: هو طائر هزار أشرق ذو صوت جميل ، أما البحر فهو اليَمُ هو مجرى للمياه . فتلك دلالات معجمية .

(1) الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص .....

(2) عبد العزيز حمودة ، علم الجمال والنقد الحديث ص 5 – 6

(3) ابن الدين بخولة ، دلالة اللفظ بين المعجم والسياق ، مجلة جامعة بن رشد ، هولندا

(4) احمد مختار ، علم الدلالة ، ص235

(5) دلائل الإعجاز ، ص258

الثانية : الدلالة السياقية الوظيفية الكامنة من خلال النظم ، فربما تكون دلالة اللفظ فيها مجازية أو أكتُسبت من خلال السياق أو الألفاظ المجاورة للفظ المراد تحديد معناه.

لتأكيد ذلك فلنأخذ نفس الأمثلة أعلاه لمعرفة الدور السياقي في تحديد دلالة المفردة أو اكسابها دلالة أخرى حسب الدلالة الكلية للسياق مثلًا: ما قاله حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) وهو يقاتل «أنا أسد الله ورسوله»[1] فهنا خرج لفظ الأسد من معناه الحقيقي إلى معنى آخر ، حيث إن المراد هنا شخص يتصف بصفات الأسد في الشجاعة . أما في العندليب فنقول : عبد الحليم حافظ عندليب القرن العشرين، ونعني بالعندليب هنا فناناً ذا صوت جميل كصوت العندليب ، فالاسم هنا خرج من معناه الحقيقي، أما البحر فقد يخرج من معناه إلى معنى آخر يُراد به الرجل الكريم كما في قول المتنبي «فلم أر قبلي من مشى البحرُ نحوه * ولا رجلا قامت تعانقُه الأسد»[2] فالبحر هنا يراد به الرجل الكريم، كما الأسد هنا يرد به الرجل بقرينة المصافحة . فتوخي لفظ المصافحة للَفظ الأسد هو الذي أخرج لفظ الأسد من معناه الحقيقي وأكسبه دلالة الرجل الشجاع.

وفي هذا القبيل الذي يختص بتوخي الكلمات لإكساب الألفاظ دلالات ومعاني حسب السياق، وفي ضوء الدلالة السياقية التي تختص بتوظيف اللفظ معنىً وفقاً لتوخيه الكلم المجاروة له يمكننا الوقوف عند منهج الجرجاني لبيان دور السياق في تحديد دلالة المفردة، وللبحث عن ذلك سنقف حول ثلاث ظواهر لغوية ذات دور كبير في تحديد دلالة المفردة من خلال السياق.

أولاً: الدلالة اللفظية من خلال الظواهر البلاغية وأثر السياق في تحديد دلالتها الوظيفية :

إن للعلوم البلاغية دورها في تحديد دلالة الألفاظ من خلال السياق ، إذْ إنّ توظيف دلالة اللفظ من حيث معناه يكمن خلال قرائن النص أو السياق لعلاقة المشابهة بين صفة مسمى الكائن الحقيقي ، والذي استعار الاسم من خلال صفته المشابهة لصفة اللفظ الأصلي ذي الصفة الحقيقية ، أو ربما تكتسب من خلال القرائن المجاورة والتي تكسب اللفظ دلالة أخرى حسب لسياق والمعنى المراد ، سواء أكان المعني البعيد أو القريب.

المجاز له دور كبير في الاتساع اللغوي للفظ والتوخي بالقرائن ، فهو يعد ضربا من ضروب الاتساع اللغوي في المفردة ، حيث إن اللفظ فيه يكتسب معنى غير معناه الحقيقي حسب الأغراض، فالمجاز يفسح المجال للكاتب في استخدام اللفظ في غير ما وضع له .

وقد أشار الجرجاني إلى ذلك في قوله: « اعلم أنّ طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه ، أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها ؛ ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو أشبه فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسة ، وإذا عرفت ذلك فأعلم أن في الكلام مجازاً على غير هذا السبيل وهو أن يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط»[3] .

ففي المجاز يكون تعدي اللفظ من معناه إلى معنى آخر ، ومن ذلك قولك : (في البيت أسد قادر على حمل أعباء الأسرة متى ما اشتدّ عليها الأمر) فهنا لفظ (أسد) تعدى من معناه الحقيقي إلى معنى أخر مجازي ، حيث إن كلمة (أسد) هنا يراد بها :

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ص172

(2) أبو الطيب المتنبي ، ديوان المتنبي ، 78

(3) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص293

رجل أوصافه كأوصاف الأسد في الشجاعة من حيث القيام بالواجب متى ما دعت الضرورة لذلك.

أما أثر السياق في توظيف دلالة اللفظ فيكمن في الألفاظ المجاورة للفظ (أسد) فكلمة، (حمل أعباء الأسرة) تدل على أن المقصود بالأسد هنا ، رجل أوصافه كأوصاف الأسد ، ومثل ذلك ما أورده الجرجاني في بيان المجاز في قول الله تعالى «فما ربحت تجارتهم» حيث قال الجرجاني : «ليس المجاز في الآية في لفظة (ربحت) نفسها ولكن في إسنادها إلى التجارة»[1].

لهذا فإنّ توظيف الكلمة جاء بناء على توخي الكلمات مع بعضها البعض، فهذه الدلالات دلالات سياقية ناتجة عن توخي الكلمات خلال السياق.

مثلما للمجاز دور في التوظيف الدلالي ، كذلك للإستعارة والتشبيه دورهما في اكساب اللفظ دلالات ومعاني حسب السياق والتوخي للألفاظ .

وقد شرع علماء البلاغة في بيان دور التشبيه والاستعارة في التوظيف الدلالي للمفردة ، فمثلاً نجد ذلك عندما نبحث عن دلالة اللفظ الكامنة خلال الاستعارة ، في قولك : الرجل أسدٌ ، فالمتأمل في هذه الجملة يتضح له أنْ ليس المقصود بلفظ (أسد) ذاك الحيوان المفترس؛ إنما المقصود بذلك إنساناً يتصف بصفات الأسد من حيث الشجاعة، والدال على ذلك وجود قرائن في الجملة تؤكد هذا وهي لفظ (رجل) المتوخي للفظ (أسد)، فالتوظيف اللفظي لكلمة (أسد) قبل كل شيء كان توظيفاً سياقيًّا ومثل : هند غزالة .

كذلك التشبيه والاستعارة حيث لهما دور كبير في توظيف وتحديد دلالة المفردة ، ونجد ذلك في قوله تعالى: «مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون»[2] فالذي يشير ويؤكد على أنّ المراد في التشبيه في قوله (صمّ بكمٌ عميٌ) هم الكفار، والذي يدل على ذلك هو وجود اللفظ (كفروا) في مبتدإ الآية ، فهذه الألفاظ الثلاثة (صمّ بكمٌ عميٌ) اكتسبت دلالات أخرى معنوية مستعارة ، غير دلالتها الحسية الحقيقية، والقرينة في ذلك هي وجود المشابهة بين المشبه والمشبه به .

فإذا تأملنا في نص الآية من حيث السياق ودوره في توظيف الدلالة، تظهر لنا إمكانية السياق في تغيير دلالة اللفظ إذ مكّنَتْه على اكساب اللفظ دلالة أخرى غير حقيقية في مسماه ، بغرض المشابهة، حيث إنّ من خلال الاستعارة الكامنة في السياق نقلت المعنى من حقيقي إلى مجازي بدلالة المشابهة .

فالتوظيف السياقي وظف تلك الألفاظ الثلاثة: صمّ بكمٌ عميٌ وأكسبها دلالات أخرى لوجود المشابهة، والعُرْفُ في الصفات الثلاث حسيٌّ، فالسياق حولها إلى معنوية عن طريق الاستعارة الكائنة في النظم، والتي تشبه الكفار بالطغى وإنكار الحق،والإيمان بالضلال.

نجد مثل ذلك في قوله تعالى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور»[3]، فكلمتا النور والظلمات اكتسبتا دلالتين سياقيتين استعاريتين، إذ أن لفظ النور هنا يُراد به الإسلام والهداية ، بينما لفظ الظلمات يراد به الكفر والضلالة والهالكة، فقرينة توظيف تلك الدلالات تكمن في لفظ (يُخْرِجُهُمْ) .

(1) الجرجاني ، المصدر نفسه ، ص 195

(2) سورة الأعراف ، الآية 171

(3) سوره البقرة ، 157

ثانياً: الظواهر اللغوية

إن للظواهر اللغوية دورها في تحديد دلالة المفردة وقد أشار إلى ذلك عدد من علماء اللغة مبينين من خلال كتبهم أن للظواهر اللغوية دورها في التوظيف الدلالي للمفردة وقد بين ذلك الجرجاني «ولو أنّ عالم اللغة قد جعل ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد في المعنى»[1]. وقوله هذا يشير إلى أن تحديد دلالة المفردة يأتي في ضوء السياق اللغوي. ، كما أشار إلى مثل ذلك أحمد بن فارس في تعريفه للاسم حيث قال «الاسم ما كان مستقراً على المسمى وقت ذكرك إياه ولازما له»[2].

وللبحث عن دور السياق في تحديد دلالة المفردة يمكننا الوقوف عند ظاهرتين لغويتين هما : المشترك اللفظي والتضاد .

1 . المشترك اللفظي :

أجمع علماء اللغة العربية على أن المشترك اللفظي هو اللفظ الواحد الدال على معان كثيرة متعددة، وقد عرفه السيوطي بقوله: «هو اللفظ الواحد الدال على معان مختلفة أكثر دلالة على السواء»[3].

اتفق علماء اللغة على تعدد اللفظ الواحد معاني متعددة ؛ لكنهم اختلفوا في أصلية تلك المعاني ، أهي حقيقية ؟ أم مجازية؟ ، حيث ذهب قوم من العلماء إلى أن هذه المعاني أصلية في اللفظ سواء أكان في السياق أم خارجه ومن بين هؤلاء العلماء: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه وأحمد بن فارس، والأصمعي. أما الذين أنكروا الظاهرة فهم أبو العباس ثعلب ، ابن درستويه ، أبو هلال العسكري ،

أما الطائفة اللغوية الثالثة فهم الذين يرون أن للفظ معنى واحداً والمعاني الأخرى مجازية يكتسبها اللفظ من خلال السياق، ومنهم الشوكاني، فهو يرى أن اللفظ يحتمل دلالة واحدة حقيقية أم الأخريات فمجازيات.

والذي نحن فيه هو البحث عن تلك المترادفات المعنوية للفظ الواحد من خلال السياق، وقد أورد أحمد بن فارس أنموذجا للوظائف اللغوية للمفردة من خلال السياق، وذلك في لفظ (قضى)؛ حيث ذكر أن اللفظ يحتمل دلالات لغوية متعددة من خلال السياق والتوخي في المفردات حيث قال: «قضى بمعنى: حتم، جل ثناؤه: «قضى عليه الموت»، وجاءت بمعنى: أمر ، في قوله تعالى «قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا»، جاءت بمعنى أعلم كقوله تعالى «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب «أي أعلمناهم»[4] .

ومن معاني قضى ، نقول مثلًا: قضى القاضي على المتهم بالبراءة : حكم عليه ، وقد تأتي بمعني المكوث في الزمن نقول : قضيت شهراً في السعودية لأداء العمرة .

لو تأملنا فيما ذكره ابن فارس عن دلالة ومعاني اللفظ (قضى) يتضح لنا أن تلك الدلالات دلالات سياقية ناتجة عن توخي الألفاظ المجاورة للفظ (قضى) . فمثلاً في الآية (قضى عليه الموت) جاءت دلالة الحتمية بتوخي لفظ قضى لفظ (الموت) ، وفي الآية (قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) جاء اللفظ بمعنى أمر ؛ لأنّ الآية تحتوي على طلب الأمر بالعمل والأمر أمر بالنهي عن عبادة سواه، فهو أمر بالترك وبعده أمر بالعمل

(1) الجرجاني ، دلائل الإعجار .....

(2) أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص53

(3) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، ج1 ، ص369

(4) ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ط1، ص152

في قوله (بالوالدين إحساناً) ؛ لأنّ أسلوب الأمر غير صريح فهو مؤول ب (وأحسنوا بالوالدين إحساناً) والله تعالى أعلم.

فالسياق هو الذي يوظف ويحدّد معاني الألفاظ عن طريق توخيها الألفاظ المجاورة لها ، وهذا على حد قول الجرجاني ، « إنّ اللفظ لا يوحي بالدلالة الحقيقية إلا إذا وضع في سياق الكلام» [1] .

ومن مثل ذلك دلالة لفظ (مولى) حيث تأتي بدلالات حسب السياق ، فهي تأتي بمعنى الحاكم، كما في قوله تعال « فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير»[2]، فالسياق يحدد دلالة المفردة (المولى) هنا بمعنى الحاكم والمتصرف بشؤون الناس، ومن معانيها السياقية الاستحقاق وقد جاء ذلك في قوله تعالى : «ولكل جعلنا مواليَ» أي : استحقاق الميراث ، ؛ لانه من ذوي العصبة . ومن معانيها السياقية : الصديق وذلك في قوله تعالى «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً » وكذلك تطلق على السيد : في قوله تعالى : «كلٌّ على مولاه» أي سيده، أما بمعنى العبد ففي قوله تعالى «فإخوانكم في الدين ومواليكم» أي عبيدكم .

فكل هذه الدلالات المتعددة الكائنة في اللفظ الواحد السياق هو العامل الأساس في تعدد واختلاف معانيها، إذ إن اكتساب المفردة الدلالة ليس من أصل احتمال اللفظ معاني متعددة حقيقية، إنما تعدد معاني وظائف اللفظ ناتج عن توخي الكلمات والألفاظ في السياق .

2 . ظاهرة التضاد

إنّ التضاد هو اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين ، وقد سماه أهل اللغة بالمشترك اللفظي الأصغر ، وذلك لأحتوائه على معنيين فقط بخلاف المشترك اللفظي الذي يحتوي على معان متعددة،

لنقف عند بعض النماذج لبيان أثر التضاد في تحديد دلالة الكلمة ، فمثلًا كلمة (جلل) قد تأتي بمعنى العظمة نجدها في قولك (تجلّت قدرة الله – سبحانه وتعالى– في إقامة الكون بلا عمد) التجلي هنا بمعنى العظمة . ومثله قولك: (أظهر الملك جلالته أما الجبابرة حتى لا يستضعفوه الرعية) فالجلل في كلا المثالين : جاء بمعنى العظمة . أما الهيّن ففي قولك : (هممت بهذا الأمر ولما رأيته يسيراً جللاً لافائدة فيه تركته) فتوخي اللفظ (جلل) في قولك: يسير، لافائدة فيه ، يدل على أنّ اللفظ (جلل) هنا جاء بمعنى الشيء الهين.

ولهذا فإن للسياق دوراً كبيراً في تحديد دلالة المفردة أضافة إلى ذلك وجود المجاورة والتوخي في المفردة يؤثر جليا في اكساب المفردات دلالات أخرى مستمدة من السياق. ونجد ذلك في قوله تعالى « والليّل إذا عسعس والصبح إذا تنفس»[3]، اختلف أهل التفسير في لفظ (عسعس) حيث ذهب بعضهم إلى أنّ (عسعس): بمعنى أقبل بينما ذهب البعض الآخر إلى أنها تعني أدبر، وعن أبي عاصم، عن عيسى، عن الحارث ،عن مجاهد : قوله: (والليل إذاعسعس) قال: إقباله ، ويقال: إدباره»[4]. إلا أن للسياق دوراً كبيراً في تحديد الدلالة الأقرب للصحة وذلك عن طريق التوخي والمجاورة ، ولهذا فإنّه حسب السياق والمجاورة والمصاحبة فإن لفظ (عسعس) أقرب إلى أن تكون دلالته الإدبار ؛ لأن مجاورة قوله تعالى (والصبح إذا تنفس) تدل على أن (عسعس) تعني الإدبار ، وعطف الآيتين بالواو

(1) الجرجاني ، دلائل الإعجار ، ص 56
(2) سورة الأنفال ، الآية 40
(3) سورة التكوير، الآية 18–17
(4) الطبري ، أبو جعفر محمد جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، در الكتب العلمية . جزء عم ، 257

يدل على المصاحبة والمجاورة ، وهذا يعني أنّ الليل عسعس : أدبر والصبح دخل، فأقرب الأمر أنّها تعني آخر الليل ، وذلك بمصاحبة الجملة التالية لها وهي (الصبح إذا تنفس) ،،، والله تعالى أعلم .

الخاتمة:

إن قضية اللفظ والمعنى نالت حظها من الإهتمام؛ ذلك لأن اللغة لفظٌ ينطق ومعنى يُفهم . ولهذا اختصت دراستنا بالبحث عن تلك القضية من خلال السياق ، وبعد الدراسة والبحث والاستقراء والتقصي توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

1. إنّ دراسة الجاحظ للفظ والمعنى بناء على منهجه التأصيلي للغة حيث إن علماء العرب الأوائل اهتموا بجانب التقعيد اللغوي مركزين على الألفاظ من حيث البناء والتركيب والتصريف والصوت .

2. إن للفظ دلالتين : دلالة معجمية أصلية حقيقية، وأخرى مجازية استعارية كائنة من خلال التشبيه

3. إنّ للتوخي دوراً كبيرًا في توظيف دلالة المفردة؛ لأن الألفاظ المجاورة لها دور في تحديد المعنى المناسب للفظ المتعدد المعنى.

4. ما انتهجه عبد القاهر الجرجاني من حيث إثبات الدلالة الحقيقية للمفردة ، أقرب إلى الواقع اللغوي ، من الذين يقرون بتعدد المعنى للفظ حتى لو كان خارج السياق .

- توصي الدراسة بالبحث في الدراسات السياقية المقارنة بين الجرجاني والدراسات الحديثة ، لأن إذا كانت هناك منهج يوافق ما ذهبت إليه الدراسات اللغوية الحديثة في الدرسات اللغوية السياقية ، في منهج عبد القاهر الجرجاني في النظم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ط5، دار الكتب - مصر 1998 .

- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ت: عمر فاروق، مكتبة المعارف بيروت .

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، الحيوان ، ت: عبد السلام هارون ، ج3، ط4، بيروت - لبنان .

- الجاحظ، البيان والتبيين، ت: حسن السندوبي، ج1، ط1، 1926،

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت لبنان.

- ابن الدين بخولة ، دلالة اللفظ بين المعجم والسياق ، مجلة جامعة بن رشد ، هولندا.

- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، ت:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

- عبد العزيز حمودة، علم الجمال والنقد الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية 1964.

- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية 2009م .